الثورة
يومية سياسية

تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة و الطباعة و النشر

ميشيل كرشة فنان الفطرة والانعتاق

ملحق ثقافي
2017/8/29
عقبة زيدان

ككل الفنانين على الأرض قاطبة، لا بد وأن يبدأ بالرسم الواقعي، ولا بد كي يصبح فناناً متمكناً من أن يتقن الواقعية بشكل كبير. وفي مرحلة تالية سيختار الفنان مدرسته التي يريد الانتماء إليها، وربما يكون قادراً على ابتداع مدرسة خاصة به. فالإبداع الفني ليس حكراً على فنان دون آخر، وليس حكراً على منطقة دون أخرى.

ولد ميشيل كرشة في فترة حرجة من تاريخنا العربي، عام 1900، تلك الفترة التي بدأت فيها التحولات الإقليمية والعالمية بالتحول والتغير. بدأ الرسم صغيراً، ورسم أول لوحة حين كان في السادسة عشرة من عمره، في منتصف الحرب العالمية الأولى. وفي التاسعة عشرة من عمره ذهب إلى باريس لدراسة الفنون في أكاديمية الفنون الجميلة، وكان أول فنان سوري يدرس فنون الحفر والطباعة والتصوير. وعاد إلى دمشق عام 1925. وهو يقول عن نفسه: «كنت فناناً بالفطرة طليقاً من كل قيد. أكره التقيد بالقواعد والعادات، وكل شيء في نظري ممكن».

يقول عنه الناقد غازي عانا: «كانت بداية تجربة الفنان «كرشة» شاقة ومضنية، إذ تعرّض لمتاعب جمّة سببتها رسومه المباشرة للأحياء الشعبية في «دمشق» وأزقتها الضيّقة، هذا إضافة إلى طريقته في معالجة لوحاته التي أثارت عليه نقمة الفنانين التقليديين الذين أبقوا على رؤيتهم للفن على أنه تسجيل دقيق للأشكال وبناء مثالي للوحة، وتميزت أعماله بغنى موضوعاتها التي خَصّ الطبيعة بحيّز كبير منها، حيث بدت فيها المشاهد رصينة وتكويناتها محكمة بدءاً من جماليات الإضاءة التي كانت بمفهومه تعني الإيقاع في اللوحة».

لم يكن ميشيل كرشة قانعاً بما ينتجه الفن السوري والعربي آنذاك، فاستعار من الانطباعية قدرتها على صنع لوحة جديدة وفريدة الجمال ومفعمة بطاقة لونية هائلة. لم يكن مرضياً عليه، باعتبار أنه لم يسر على الطريق الذي يسير عليه زملاؤه الفنانين. فاضطر إلى العمل وحيداً، مصمماً على الانتماء إلى الانطباعية، فاعتبر أول رائد انطباعي في سورية.

قال عنه الفنان الياس الزيات: «أرى أن الفنان «كرشة» كان واحداً من أبرز هؤلاء الذين تركوا بصمة في تاريخ الحركة التشكيلية من حيث التميّز والانحياز إلى ضرورة الاهتمام بالضوء واللون السوريين في اللوحة، وهو الفنان الذي حقّق حضوراً مدهشاً يومها من خلال تأسيسه لبداية انطباعية سورية تحمل بعض الخصائص المميّزة، ومؤصلاً لفن سوري مستفيداً من اتجاهات الحداثة السائدة في أوروبا، ومستلهماً الأصالة من الموروث البصري للحضارة العربية

والسورية».

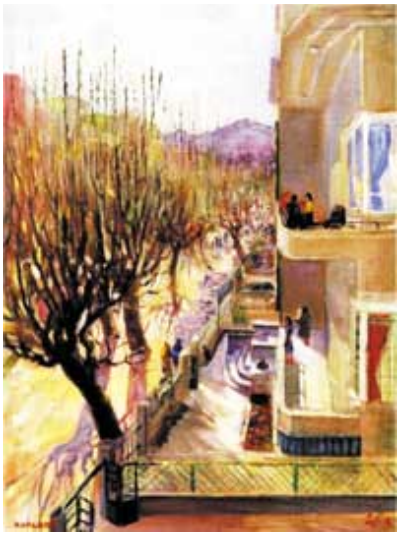

كانت لوحاته في كثير منها سريعة الإيقاع، ومضاءة بشكل يبهر، من خلال استخدامه لفاعلية الضوء وإمكانيته في اللوحة الانطباعية. إنها النسب التي تعلمها في الغرب مضافاً إليها نسبه الخاصة التي أفردت له مكاناً في الحركة الانطباعية. وكانت رسوماته للمناظر الطبيعية تبتعد قليلاً عن التفاصيل الدقيقة، أما رسوماته للأشكال المعمارية فكانت تركز على التفاصيل الدقيقة، هادفاً من وراء ذلك تأكيد هوية المكان الذي يرسمه، لأن كل مكان يحتفظ بخصوصية معينة، تميزه عن باقي الأمكنة.

دمشق

قضى كرشة حياته في دمشق، في منطقة عين الكرش، وخلال هذه الفترة الطويلة، حاول خلق حالة فنية سورية بامتياز، وكانت آفاقه تتجاوز الحركة التشكيلية إلى الموسيقا. فشارك بين أربعينيات وستينيات القرن العشرين بتأسيس الجمعيات والمنتديات الفنية، ومنها «دار الموسيقا العربية»، و»الجمعية السورية للفنون»، و»الجمعية السورية للرسم والنحت». وهو في كل هذا كان يرى أن للفن وظيفة مركزية في تطوير المجتمعات، وتحولها إلى الأمام.

هذا المجتمع الذي يحبه، قدم له الكثير، ورسمه كثيراً، بتفاصيل دقيقة وبمحبة طافحة. لقد رسم حارات دمشق وجامعها الأموي، ورسم الشوارع والناس. أرخ لحركة الشوارع ولهبوب الريح على الأشجار، ولضوء الشمس الذي يلقي التحية على شرفات البيوت ومن ثم يختفي وراء الأفق. يتابع حركة الناس وهم يجلسون في حديقة عامة، وتلقي الشمس ضوءها الأصفر الذهبي على كل المكان، لتمنح المتلقي شحنة من الجمال الكثيف. وتلتقط عينه الخبيرة نساء على شرفات بيوتهن الدمشقية، ويفرش اللون الأبيض على كل اللوحة تقريباً، ليمنحنا منظراً مبهجاً، رغم هشاشة البيوت المطلية بالكلس المصبوغ بالأزرق السماوي.

معارض فنية

تأخر ميشيل كرشة في عرض لوحاته، مع أنه من أكثر الفنانين السوريين إنتاجاً، فقد قيل إن لوحاته تجاوزت الألف. وقد شارك في العديد من المعارض، منها 1950 معرض بالاشتراك مع الفنانين توفيق طارق، عبد الوهاب أبي السعود، سعيد تحسين، ثم 1950 «فن التصوير السوري»،1954 «المتحف الوطني» في قصر الحير بـدمشق، 1958 معرض «الرسوم الزيتية للجمعية السورية للفنون»، معرض مشترك مع المصورين «عبد العزيز نشواتي، ونصير شورى» 1963، شارك في معرض «الطوابع السنوي»، وأقام العديد من المعارض منها: في صالة «الصيوان» بدمشق 1962، معرض بباريس 1964، وفي المركز الثقافي العربي بدمشق 1967، في العام 1968 أقام معرضاً في «بيروت» للموسيقا والرسم ، ومعارض بمعهد اللابيك، جودت الهاشمي، ومعرض الجلاء في نقابة المعلمين 1970. وكان يعد لمعرض في متحف الميتروبوليتان في نيويورك وقد واتته المنية وهو هناك عام 1973. وكما يقول غازي عانا: «وهو تاريخ توقيع آخر لوحة رسمها بعنوان «أزهار الختمية» التي اختزل فيها كل معارفه التي اكتسبها أو تعلّمها، إضافة إلى الخبرات التي تراكمت بالممارسة خلال خمسة عقود عمر تجربته الفنية».

جرأة

من خلال التمعن في لوحاته، تظهر الجرأة العالية التي كان يمتلكها، فقد كان يرسم بالألوان من دون أن يشيد خطوط اللوحة الأولية، وهي الطريقة التي استعارها من المدرسة الانطباعية التي تعلمها في باريس. وكان جريئاً أيضاً في التعامل مع الألوان، ويشرع بمزج الألوان كما يريد أن تكون وكما يحبذها، معتمداً على ثقافته الفنية العالية وعلى عوامله النفسية.

ولم يتوقف عند اللوحات الصامتة أو المناظر الطبيعية، بل تعدى ذلك إلى رسم

الأشياء المتحركة، كالطيور والبشر والسيارات، وتظهر لوحة «شارع بغداد» أنه رسمها من نافذة منزله، وكانت السيارات والأشخاص من ضمن منظوره. وكان ذكياً في التعامل مع الضوء والظل، لدرجة أن المتلقي سيدرك زمن رسمها.

المعلم

قضى كرشة سنوات طويلة أستاذاً يدرب الطلاب على الرسم، ويلقنهم أصول التصوير. وكان يخرج مع طلابه إلى حديقة المدرسة، ويطلب منهم تأمل الطبيعة المحيطة بهم والشروع في رسمها، بالألوان مباشرة، من دون استخدام الخطوط الأولية.

وإذا كنا نحسب له فضله هذا في التعليم، فلا بد أن نشكر له فضله على الحركة التشكيلية السورية بكاملها، فقد كان أستاذاً ومعلماً للأجيال التي أتت بعده، فهو أول انطباعي سوري، وصاحب رؤية تشكيلية، ألهمت كثيراً من الفنانين وجعلتهم يجربون للاقتراب من جرأته اللونية والتكوينية.

بطاقة

ميشيل كرشة

ولد في دمشق عام 1900

تخرج من المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة في باريس 1924.

الجائزة الأولى بمعرض فلوريدا الدولي «مسابقة للطوابع»، 1933.

وسام الاستحقاق السوري لتفوقه في معرض فلوريدا الدولي.

ميدالية في البينالي الثالث بالاسكندرية لدول البحر المتوسط 1959،

وسام وزارة الثقافة بالإقليم الشمالي السوري الجمهورية العربية المتحدة 1960.

وسام من باريس. 1964.

معارضه:

1926 شارك في معرض الفنانين: توفيق طارق، عبد الوهاب أبو السعود، سعيد تحسين.

1933 معرض فلوريدا الدولي في مسابقة الطوابع.

1950 معرض فن التصوير السوري.

1954 معرض المتحف الوطني في قصر الحير.

1957 البينالي الأول بالإسكندرية لدول البحر المتوسط.

1958 معرض الرسوم الزيتية للجمعية السورية للفنون.

1958 معرض مشترك مع المصورين: عبد العزيز نشواتي، ونصير شورى.

1959 البينالي الثالث بالإسكندرية لدول البحر المتوسط.

1962 معرض في صالة الصوان بدمشق.

1963 معرض الطوابع السنوي، ومعرض المكتبة الأميركية في دمشق.

1964 معرض في باريس.

1967 معرض في المركز الثقافي العربي بعنوان الفنان والمعركة.

1968 معرض رأس بيروت للموسيقا والرسم.

1970 معرض معهد الحرية (اللاييك).

1970 معرض ثانوية جودة الهاشمي.

1970 معرض الجلاء في نقابة المعلمين بدمشق.

أعماله مقتناة من قبل وزارة الثقافة السورية / المتحف الوطني بدمشق / القصر الجمهوري ـ دمشق / قصر الضيافة / المجمع العلمي العربي ـ دمشق / ضمن مجموعات خاصة. وقد تجاوزت لوحاته الألف لوحة موزعة في سورية، لبنان، فرنسا، أمريكا، إنكلترا، تشيكوسلوفاكيا، بلغاريا، رومانيا، روسيا.

توفي عام 1973.

E - mail: admin@thawra.com

مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر ـ دمشق ـ سورية